

تفسير البحر المحيط

@ 259 @ مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) . وقال ابن مسعود فيما روى عنه مسروق : طلوع الشمس والقمر من مغربهما . وقيل : إحدى الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدابة وفتح يأجوج ومأجوج رواه القاسم عن ابن مسعود . وقال أبو هريرة : طلوعها والدجال والدابة وفتح يأجوج ومأجوج . وقيل : العشر الآيات التي في حديث البراء طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، ونزول عيسى وفتح يأجوج ومأجوج ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر . والظاهر أنهم توقعوا بالشيء العظيم من أشراط الساعة ليذهب الفكر في ذلك كل مذهب لكن أتى بعد ذلك الإخبار عنه عن هذا البعض بعدم قبول التوبة فيه إذا أتى ، وتصريح الرسول بأن طلوع الشمس من مغربها وقت لا تنفع فيه التوبة فيظهر أنه هذا البعض ويحتمل أن يكون هذا البعض غرغرة الإنسان عند الموت فإنها تكون في وقت لا تنفع فيه التوبة . قال تعالى : { وَلَئِيَّاسَاتِ التَّوْبَةِ } لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ إِذْ يُنَادِي بِرَبِّهِ يُؤْتِيهِمُ الْإِنِّ { وفي الحديث أن توبة العبد تقبل ما لم يغرغر ويحتمل أن يكون قوله : { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } غير قوله : { هَلْ يَنْظُرُونَ } إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ } فيكون هذا عبارة عن ما يقطع بوقوعه من أشراط الساعة ويكون قوله { يَوْمَ * هَلْ يَنْظُرُونَ } فيه وصف محذوف يدل عليه المعنى تقديره { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } التي يرتفع معها التوبة . وثبت بالحديث الصحيح أن طلوع الشمس من مغربها وقت لا تقبل فيه التوبة ويدل على التغيرات إعادة آيات ربك إذ لو كانت هذه تلك لكان التركيب يوم يأتي بعضها أي بعض آيات ربك . . . { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } لَا يَنْفَعُ زَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا } منطوق الآية أنه إذا أتى هذا البعض { لَا يَنْفَعُ زَفْسًا } كافرة إيمانها الذي أوقعته إذ ذاك و { لَا يَنْفَعُ إِيْمَانُهَا } سبق إيمانها وما كسبت فيه خيراً فعلق نفي الإيمان بأحد وصفين : إمّا نفي سبق الإيمان فقط وإمّا سبقه مع نفي كسب الخير ، ومفهومه أنه ينفع الإيمان السابق وحده أو السابق ومعه الخير ومفهوم الصفة قوي فيستدل بالآية لمذهب أهل السنة من أن الإيمان لا يشترط في صحته العمل . وقال الزمخشري : { مِنْ قَبْلُ أَوْ } صفة لقوله : { زَفْسًا } وقوله : { أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا } عطف على { ءَامَنَتْ } والمعنى أن

أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدّمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسية خيراً في إيمانها ، فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيراً ليعلم أن قوله : { الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد وإلا فالشقاوة والهلاك ؛ انتهى . وهو جار على مذهبه الاعتزالي . وقرأ الأخوان : إلا أن يأتهم بالياء . وقرأ ابن عمرو وابن سيرين وأبو العالية يوم تأتي بعض بالياء مثل تلتقطه بعض السيارة وابن سيرين لا تنفع نفساً . قال أبو حاتم : ذكروا أنها غلط منه . وقال النحاس : في هذا شيء دقيق ذكره سيبويه وذلك إن الإيمان والنفس كل منهما مشتمل على الآخر فأنث الإيمان إذ هو ممن النفس وبها وأنشد سيبويه رحمه الله : % (مشين كما اهتزت رماح تسفحت % .
أعاليها مرّ الرياح النواسم .
%)